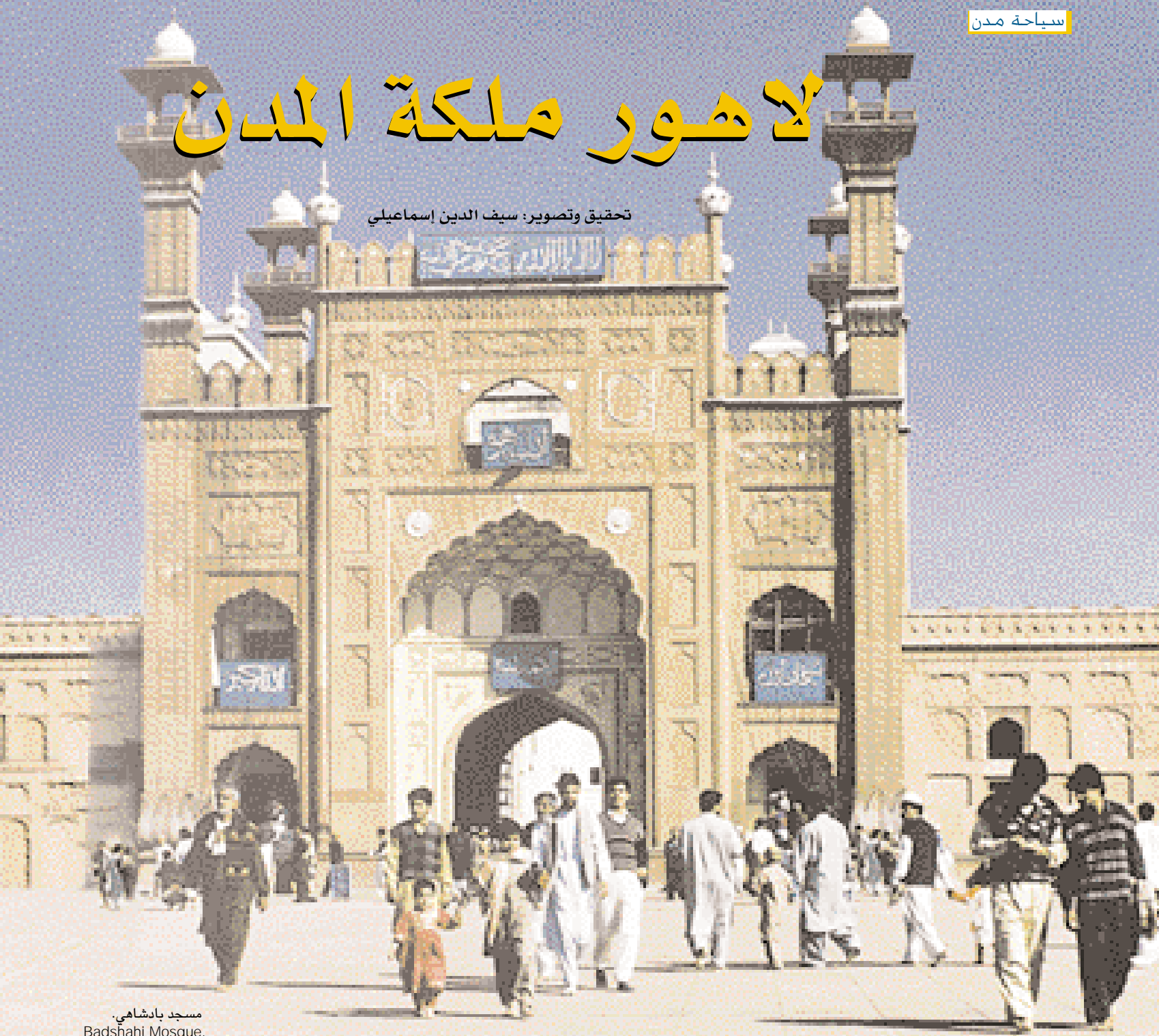


# لاهور ملكة المدن

تحقيق وتصوير: سيف الدين إسماعيلي



مسجد بادشاهي  
Badshahi Mosque.

لاهور مدينة تربط العديد من الثقافات. فهي حوى مزيجاً من العظمة المعمارية وتراث الإمبراطوريات العظيمة. ولاهور مكانٌ معالمةٌ تعيد سرد أساطير مدهشة عن حكام جديرين بالفخر. إن دفع أسلافهم عبر السهول الحصبة للـ"بنجاب"، لفتح شبه القارة الهندية، والبنجاب تعني الأنهار الخمسة. وتزامناً مع عصر النهضة الأوروبية و"الفترة الباروكية" (وهي طراز من المعمار وأسلوب من أساليب الأدب) في الغرب، برعت لاهور في الشرق في فن المنمنمات المستخدمة على نحو خاص في العمارة وصناعة الجواهرات.

ولاهور اليوم، بسكانها الثمانية ملايين تقريباً، هي العاصمة الثقافية لدولة باكستان الإسلامية الحديثة، تدهشك مجموعة من المفاجئات. ليس آخرها إنتاجها السينمائي (المعروف محلياً بـ"لولي وود") والأزياء والطهو. وعلاوة على أنها تعرض جمال وعظمة ماضيها وحاضرها معاً. فهي مدينة واسعة جداً وتبقى حقاً في ذهن الزائر إلى الأبد. وفي الحقيقة، إن ذلك الولع في الإبداع والبناء اللذين كانا يتميزان بهما أباطرة المغول. ومساهماتهم التي ليس لها حدود في الفن والأدب، يجعل من لاهور تجربة ثمينة في مجالي الفن والمتعة الروحية. إن مدينة، ولاهور في عصرها الذهبي قدمت فرصاً كبيرة لسكانها وزوارها على حدٍ سواء، ما جعلها تستحق صفة "ملكة المدن".

## لمحة تاريخية

أظهرت المكتشفات الأثرية في بوابة بهاتي في لاهور الشواهد على ولادة مدينة لايوكلا. وهو الاسم القديم للاهور. وكانت لاهور في حدود سنة 145م قرية صغيرة ولكن التاريخ المكتوب يعود الى عام 1021م حيث يظهر من السجلات أن الغزوات الأجنبية عرقلت فرص التوجه نحو بناء المنطقة. وقد كان اليونانيون الأوائل الجيوت. المنغوليون. الأتراك. البانان والآريون هم الغزاة الأوائل. وفيما بعد. وضع محمود الغزنوي اللبنة الأولى من الإستقرار على تربة لاهور وأسس السلالة الغزنوية التي حكمت هناك من سنة 1021 إلى 1186م. وأثناء عهده. ازدهرت التجارة وأصبحت لاهور موطناً لحكام المستقبل. إن "لاهور ماندي". وهي سوق جملة. خلف "بوابة بهاتي" كانت عامرة بالنشاط منذ أن تأسست في القرن الحادي عشر وأصبحت موطن التجارة الأول في لاهور.

وعند سقوط الغزنويين. افتحمت لاهور موجة عارمة من المحتلين تاركين وراءهم قصص الرعب والهمجية. وفي ذلك الوقت. تأمر توار من سلالة "لودي" مع "بابر" سليل جنكيز خان وأبرز أمراء المغول.

وبعد غزو المغول. غرقت لاهور عميقاً في وهدة من عدم الاستقرار دامت مائة سنة. تميزت بالتهب والدمار بفعل الغزوات الأجنبية. لكن "المهراجا راجت سنغ" تمكن من هزيمة الأفغان وإعادة السلام في النهاية. وأصبحت لاهور مقر حكمه.

ابتدأ التواجد البريطاني في شبه القارة عن طريق المصالح التجارية من خلال رعاية شركة الهند الشرقية. والذي حوّل بعد ذلك إلى غزو هادئ وناجح للمنطقة. وبعد أن خسر الحكام السيخ الحرب الإنجليزية - السيخية الأولى. أقامت الإمبراطورية البريطانية. التي تعرف هناك بال"راجا". وجوداً سياسياً في لاهور في سنة 1845 بموجب "معاهدة لاهور". التي وقعت في مراسم باذخة سلّم فيها حجر الأساس "كوي نور" (كتلة متلثة ضخمة تن 229 قيراطاً) رسمياً إلى السلطات البريطانية تعبيراً عن سيطرة بريطانيا وتأكيداً لمصالحها.

لقد كان "طريق المتنزه" المشهور بمقاهيه العديدة ونوادي النخبة فيه. وهو مكان النقاء المثقفين. وبعد التقسيم الدامي لشبه القارة في سنة 1947 هدمت جميع هذه الاماكن تقريباً أو حوّلت إلى فنادق.

## سلالة المغول

لقد حقق حلم "بابر" في فتح شبه القارة الهندية. فبعد انتصاره في معركة عام 1526 جعل الإمبراطور بابور ذو الخلق العالي. سلطانه في دلهي ووضع أساس حكم سلالة المغول العظيمة التي حمل ثمار مجدها الذي دام قرابة القرنين.

وفي وقت لاحق نعى "شهر شاه سري" همايون ابن بابور إلى بلاد فارس. وحكم الباني الباناني (الأفغاني) شهر شاه لفترة قصيرة (1530-1545). ولكنه أدخل على المنطقة إحدى أهم إنجازاتها في مجال المواصلات ألا وهو طريق شاهي (القناة الكبيرة). المعروف عادةً بطريق الجي تي. الذي يربط الشرق بالغرب عن طريق مرخبر التاريخي. الواقع في الشمال الغربي من لاهور.



Horses and Camels Dance.

ترقيص الجمال والخيل.

النشاه ظفر. الأخ الثاني لأورانجيز وورثه المباشر. شاهداً على سقوطها التالي لكن لم يستطع ان يضيف الى تراث السلالة أكثر من مساهمته في الشعر والنثر. وقد ختم آخر شعره بمعاني الحزن والهزيمة:

روحي لا ترتبط بعد اليوم بهذه الأرض الخراب  
ولا لزأوية رقيقة في قلوب فاسية  
كيف بك يا تعيس الحظ ظفر وقبرك  
الذي لا يتعدى المترين من الأرض  
لا وجود له على ظهر البسيطة

## المعالم الدينية والثقافية:

وضع أكبر أسس حصن لاهور. وشغلت المدينة دور العاصمة لأربع عشرة سنة. وتعرض واجهة الحصن المسماة "بوابة أكبر" على حائطها الجاور. على مساحة 745 متراً مربعاً. صوراً تمثل عهد أكبر. محفورة على قطع صغيرة من البلاط المزجج. وتتضمن مشاهد من جيشه الذي إشتهل على خمسة آلاف فيل. وكان لـ "بوابة ماستي" برونزات مفتوحة في أعلى الحائط مصممة لفصص الصخور ضد القوات الغازية. وأما بوابة "الأجري" البارزة - إحدى المداخل إلى حصن لاهور - فقد بنيت من قبل "أورانجيز الأجري". لكن عنصر الجمال الحقيقي فيها يعود الفضل فيه إلى المعماري العبقري لشاه جهان. حفيد أكبر. الذي أنشأ "شيش محل" (قاعة المرايا) التي تعرض بتألق فنّ النطعيم بالمرايا. وقبالة شيش محل هناك "جناح نو لاخا" بسقفه المقوّس المتمدد نحو الأسفل في طراز بنغالي نموذجي مبني من الرخام الأبيض الصافي. وداخله مزّين بـ "بيترا دورا". على شكل زهرة صغيرة وحيدة طعمت بأكثر من مائة قطعة صغيرة من الأوراق التوبجية مكوّنة من الجواهر والأحجار نصف الكريمة. وقد كان الحصن يتخذ من قبل أباطرة

وبعد موت شهر شاه طالب همايون في سنة 1554 بإعادة عرشه. ومن ذلك الحين بدأ ابنه وورثه. "أكبر" (1556-1605) في تشييد إحدى أعظم الإمبراطوريات في العالم.

يوصف "أكبر" بأنه ذو ملامح صينية. نحيل. ذو لحية خفيفة ومجعدة. وغير وسيم. وذو عينين صغيرتين ولكنهما مفعمتان بالحيوية. و تشير المصادر بأنّه. "عندما ينظر إليك يبدو كما لو أنّ عيونه تؤذيك بإشرافها. وهكذا لا شيء يفلت من ملاحظته. كما إنها توحى بدقة الفكر وحدة الذكاء". (رسالة من الأب مونسترار. قرابة 1580).

وبنى ورثة أكبر حصوناً منيعة في جميع أنحاء شبه القارة. وعلاوة على ذلك. فإن رئيس وزراء أكبر. أبو الفضل. وهو الرجل ذو الرؤية الثاقبة وكان خطاطاً موهوباً. أسس الدارالملكية لسك العملة. ومصنعاً للسجاد ومعاهد لتطوير الفنون والأدب.

أما شاه "جهان ابن الإمبراطور "جهانغير". الذي كان من صفوة أحلامه تقدم لاهور. فرما يعود له الفضل في تلك الإنطباعات المعروفة عن عظمة المغول. في البراعة الفنية المطلقة. وأثناء عهده. كلف شاه جهان نائبه الخاص بإنشاء مختلف مشاريع البناء ضمن لاهور وخارجها. وقد أخذت "نور جهان". زوجة جهانغير المحبوبة التي شغف بها حباً على عاتقها العمل الإداري اليومي بسبب ولع زوجها العميق في الفنون والأدب ومطاردة الصيد. وفي سيرتها الذاتية تقتبس نور جهان من جهانغير قوله :

"إشترت لاهور بحياتي - وضحيّ بحياتي من أجل لاهور". واليوم. يحتضن ضريح جهانغير قبر نور جهان في حالة تثير الحزن.

أعلى العرش "أورانجيز" (1618-1707) بعد أن حكم على أبيه شاه جهان بالسجن. وقتل أخاه الأكبر. دارا شيكو. وقاد حكم سلالة المغول نحو الفناء. وقد كان





شالمار باغ (حديقة الحب).  
Shallmar Bagh (Garden of Love).



نصب الغزلان.  
Hiran (deer) Minar.

شاليمار باغ، أو حديقة الحب، التي فيها مئات النافورات الرشاشة التي تحتل موقعاً جميلاً في هذا المكان، وهي تعكس مدى الثراء والترف المبالغ فيه في طراز حياة المغول. وقد صمم "علي مردان خان" نظام القناة بشكل مبدع حول هذه الحدائق، التي كانت ممرات مائية مدت في خطوط مستقيمة، لإدامة السقي المنتظم والذي يؤدي بالتالي إلى تبريد كامل لمجمع الحدائق الثلاث. كما أن الأجنحة المقوّسة بشكل رائع التي تشرف على المنصة الرئيسية والمعززة بـ 150 نافورة تقوم مقام المسرح الرئيسي للفنانين الذين يتولون مهمة ترفيه العائلة المالكة.

### المؤسسات الدينية والتربوية

يشتمل "مسجد بادشاهي" على مدرسة دينية، تدرس فيها العلوم إضافة إلى الدراسات الدينية، وكلية "كينيرد للنساء"، كلية "أجسون"، كلية الملك إدوارد الطبية، ومستشفى مايو وكلية الطب، والتي أسست من قبل البريطانيين. لا زالت تواصل تقديم خدماتها إلى الوقت الحاضر وتعد من خيرة المراكز الثقافية في البلاد تقريباً. وبالإضافة إلى ذلك فإن الكلية الوطنية للفنون، والكلية الحكومية وجامعة البنجاب تعتبر هي المعاهد التربوية الرئيسية للاهور.

### متحف لاهور

لقد افتتح الأمير ألبرت، في 1894 المتحف العالمي في لاهور والذي يدّخر الآن كنوزاً قديمة جداً وبعضها يتجاوز عمره 3,000 سنة من قطع فنّ "جندارا" الأصلية، بالإضافة إلى السجلات الوثائقية الخاصة بتقسيم شبه القارة الهندية، وخارج بنائهم المتحف ينتصب مدفع من القرن الثامن عشر تسمى زام زاما.

المغولي، وبلاطة قبره تعكس الدقة المتناهية لهذا العمل الفني. لكن "مسجد بادشاهي"، المسجد الأكبر في العالم في ذلك الوقت، ربما هو المسجد الإمبراطوري الأكثر أهمية، والفريد من حيث مساهمته في العمارة المغولية. وبنائه (170 متراً مربعاً) كسبت بالحجارة الحمراء وتوجت بقبب الرخام البيضاء الهائلة المسندة بثمانية دعائم مقوّسة. كما أن الجيطان الداخلية وسقف مصلى المسجد الرئيسية قد تمّ تزيينها بعناية فائقة باستخدام الرسوم النباتية. إنّ القبر المزخرف لراڤيت سنخ وجناح الرخام الأبيض المقابل للحصن، في المدينة القديمة، هما من النماذج الجيدة المتوفرة حالياً للعمارة السيخية، وقد أهديت إلى لاهور أثناء حكم رانجيت سنغ (1799-1839).

وقد أقام البريطانيون (1849-1947) سكك الحديد والطرق، وأسّسوا معاهد التعليم والرعاية الصحية، والبنائات التي صممت على الطراز المغولي - الفكتوري تتضمن دائرة البريد العامّة، قاعة لورانس مونغومري (حالياً تدعى مكتبة جيناً)، بناية محطة سكة الحديد وجامعة البنجاب، وكلّها تعد من التراث الغني للاهور.

المغول كقصرهم الملكي، وكان مجهزاً تجهيزاً كاملاً بغرف النوم والحمام التركي ذي الماء الجاري الحار والبارد. ويعتبر "مسجد وزير خان" الذي بني عام 1663 المسجد الأكثر جمالا في شبه القارة ويزخر بالزخرفة المزججة الفريدة متأثراً بالخبرة الأجنبية من بلاد فارس وأسبانيا الوسطى، ومصمماً للاستعمال المنعقد. ويقع إلى الغرب منه "مسجد سنهري" (المسجد الذهبي)، شاليمار باغ، أو حديقة الحب، التي فيها مئات النافورات الرشاشة التي تحتل موقعاً جميلاً في هذا المكان، وهي تعكس مدى الثراء والترف المبالغ فيه في طراز حياة المغول. وقد صمم "علي مردان خان" نظام القناة بشكل مبدع حول هذه الحدائق، التي كانت ممرات مائية مدت في خطوط مستقيمة، لإدامة السقي المنتظم والذي يؤدي بالتالي إلى تبريد كامل لمجمع الحدائق الثلاث. كما أن الأجنحة المقوّسة بشكل رائع التي تشرف على المنصة الرئيسية والمعززة بـ 150 نافورة تقوم مقام المسرح الرئيسي للفنانين الذين يتولون مهمة ترفيه العائلة المالكة. أكمل شاه جهان بناء الصريح الرائع لجهانغير، والأخير، وهذا الأخير هو الذي أدخل الـ (بيترادورا) في الفن